الفصل السادس

أمثل هذا يُشتم ويُسب؟

«منح الله سبحانه نبينا ﷺ من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه غيره ممن قبله أوبعده»(١)

«فاعلم – أرشدني الله وإياك، وهدانا للصراط السوي – أن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان: ضروري دنيوي: اقتضته الجبلة، وضرورة الحياة، ومكتسبٌ ديني: وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله زلفي. فأما الضروري: فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته عليه الصلاة والسلام من كمال الخلقة، وجمال الصورة، وقوة العقل، وصحة الفهم، وفصاحة اللسان، وقوة الحواس، والأعضاء، واعتدال الحركات، وشرف النسب، وعزة القوم، وكرم الأرض، ويلحق به ما تدعو ضرورة الحياة إليه من الغذاء والنوم والملبس والمسكن والمال والجاه.

أما المكتسبة الأخروية: فسائر الأخلاق العلية، والأداب الشرعية من الدين والعلم، والحلم، والصبر، والشكر، والعدل، والزهد، والتواضع، والعفو، والعفة، والجود، والشجاعة، والحياء، والمروءة، والصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن الأدب، والمعاشرة، وأخواتها وهي التي يجمعها حسن الخلق.

فإذا نظرت – رعاك الله – إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة، وفي جبلة الخلقة وجدته عليه الصلاة والسلام حائزًا لجميعها، محيطًا بشتات محاسنها»(٢).

---

(١) «نور اليقين في سيد المرسلين» [١٧٦].

(٢) المصدر السابق ص[١٧٦].

obeikandi.com

أمثل هذا الشجاع يُشتم ويُسب؟:

«كان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذى لا يجهل، كان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة، وفرعنه الكماة والأبطال غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر، ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة، وحفظت عنه جولة سواه»[١] قال على بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كنا إذا حمي البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب الى العدو منه»[٢].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عرى، في عنقه السيف، وهو يقول: «لم تراعوا لم تراعوا»[٣] لم تراعوا أي: لم تفزعوا ولم تخافوا.

قال ابن إسحاق: فلما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول: أين محمد؟ لانجوت إن نجا ـ فقال القوم: يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول ﷺ: «دعوه» فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، فلما أخذها منه انتفض انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله وأبصر ترقوته من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة فطعنه فيها طعنة تدأدأ ـ تدحرج ـ منها عن فرسه مرارًا ـ فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشًا غير كبير، فاحتقن الدم، قال: قتلنى والله محمد، قالوا له: ذهب والله فؤادك، والله إن بك من بأس، إنه قد كان قال لي بمكة: «أنا أقتلك»[٤] فوالله لو بصق

(١) «الرحيق المختوم» ص[٤١٦] و«نور اليقين» ص[١٨٥].

(٢) «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٨٩).

(٣) «صحيح مسلم» (٢/ ٢٥٢)، والبخاري (١/ ٤٠٧).

(٤) وذلك أن رسول الله ﷺ لما كان بمكة كان يلقاه أبي هذا، فيقول: يا محمد، إن عندى العود فرسًا أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليه، فيقول رسول الله ﷺ «بل أنا أقتلك إن شاء الله»

عليَّ لقتلني ـ فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة[١].

وفي رواية أبي الأسود عن عروة، وكذا في رواية سعيد بن المسيب عن أبيه: أنه كان يخور خوار الثور، ويقول: والذي نفسي بيده، لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا جميعًا[٢]

وقال عمر: ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله ﷺ[٣].

أمثل هذا الكريم الجواد يشتم ويسب؟:

وكان من صفة الجود والكرم على ما لا يقادر قدره، كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، قال ابن عباس: كان النبي ﷺ أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القران، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسله[٤]

وأخرج الشيخان عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا فقال: لا[٥].

وأخرج البزار عن عبيد الله بن عباس رضي الله عنهما قال لي أبو ذر رضي الله عنه: يا ابن أخي: كنت مع رسول الله ﷺ أخذًا بيده فقال لي: يا أبا ذر: «**ما أحب أن لي أحدًا ذهبًا وفضة أنفقه في سبيل الله أموت يوم أموت أدع منه قيراطًا**». قلت يا رسول الله: قنطارًا: قال: «**يا أبا ذر! اذهب إلى الأقل وتذهب إلى الأكثر، أريد الأخرة وتريد الدنيا، قيراط**»

---

(١) «الرحيق المختوم» ص[٢٤٦].

(٢) ابن هشام (٢/ ٨٤)، و«المستدرك» للحاكم (٢/ ٣٢٧)..

(٣) «نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ﷺ» ص [١٨٥]..

(٤) صحيح البخاري (١/ ٥٠٢).

(٥) صحيح البخاري (١/ ٥٠٢).

obeikandi.com

فأعادها على ثلاث مرات[١] وعن جابر رضي الله عنه أن رجلًا أتى النبي ﷺ فسأله. ثم أتاه أخر فسأله فوعده، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله سئلت فأعطيت، ثم سئلت فأعطيت، ثم سئلت فوعدت، ثم سئلت فوعدت، فكأن رسول الله ﷺ كرهها، فقام عبد الله بن حذافة السهمى رضي الله عنه فقال: أنفق يا رسول الله! ولا تخش من ذي العرش إقلالًا، فقال: «**بذلك أمرت**»[٢].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ على بلال رضي الله عنه وعنده صبر من تمر فقال: «**ما هذا يا بلال؟**».

قال: أعد ذلك لأضيافك قال: «**أما تخشى أن يكون لك دخان في نار جهنم! أنفق يا بلال! ولا تخشى من ذي العرش إقلالا**»[٣].

وقالت خديجة في صفته عليها الصلاة والسلام مخاطبة له: «إنك تحمل الكل وتكسب المعدوم».

وحسبك شاهدًا في هذا الباب ما فعله مع هوازن من ردّ السبي إليها، وما فعله يوم تقسيم السبي من إعطاء المؤلفة قلوبهم عظيم الأعطية وحمل إليه ﷺ تسعون ألفًا، فوضعها على حصير وأخذ يقسمها فما قام حتى فرغ منها[٤].

شفيع الأمة يشتم ويسب:

محمد ﷺ يشفع لجميع البشر يوم القيامه كي يفصل الله عز وجل بين الناس ويستريحوا من طول المقام:

وهذه هي الشفاعة الأولى، يشفع فيها نبي الرحمة محمد ﷺ لجميع الناس

---

(١) وأخرجه الطبراني بنحوه ﷺ قال الهيثمي (١٠/ ٢٣٩) وإسناد البزار حسن.

(٢) انظر «الكنز» (٣/ ٣١١)، و«حياة الصحابة» ص[١١٧].

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٤٩)، و«الترغيب» (٢/ ١٧٤).

(٤) «نور اليقين» في سيرة سيد المرسلين ﷺ ص[١٨٤].

من لدن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى آخر ذريته عَلَيْهِ السَّلَامُ لا كما ذهب بعض الناس أن الشفاعه إنما هي لأمه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحسب، وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس[١] منها نهسة فقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامه وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد[٢] فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم فيأتون آدم فيقولون: ياآدم! أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح.**

فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح! أنت أول الرسل إلى الأرض ـ وسماك الله عبدًا شكورًا ـ اشفع لنا إلى ربك. ألاترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي[٣] نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ .

فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك

---

(١) فنهس: أى أخذ بأطراف أسنانه.

(٢) في صعيد واحد: وذلك جمعهم يوم القيامه في صعيد واحد.

(٣) وهي قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾.

ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وذكر كذباته[1]، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: يا موسى! أنت رسول الله فضلك الله، برسالاته وبتكليمه، على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى عليه السلام: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى عليه السلام.

فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى! أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بغلنا؟ فيقول لهم عيسى عليه السلام: إن ربي قد غضب إلى غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر له ذنبًا، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتونى فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فاتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي، ثم يفتح الله عليَّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاثًا» رواه البخاري (٧/ ٢٠٠) وفي رواية الشيخين: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عز وجل، قوله: «إني سقيم» وقوله: «بل فعله كبيرهم هذا» وقال: «بينما هو ذات يوم هو وسارة إذ أتى على جبار من الجبارة فقيل له: إن هذا رجل معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال: من هذه؟ قال: أختي فأتى سارة قال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال: ادعي الله لي ولا أضرك فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال: ادعي الله لي ولا أضرك فدعت فأطلق فدعا بعض حجبته فقال: إنك لم تأتيني بإنسان إنما أتيتنى بشيطان فأخدمها هاجر فأتته وهو قائم يصلي فأومأ بيده مهيم – أي: ما الخبر – قالت: رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر» «الفتح» (٧/ ٢٠١) ومسلم [١٨٤٠].

لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد! أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه، من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين[١] من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر[٢] أو كما بين مكة وبصرى»[٣].

هكذا كانت رحمته بالأمة ﷺ وشفاعته للمؤمنين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا»[٤].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[٥].

هكذا تكون شفاعته ﷺ يوم القيامة:

الشفاعة الأولى: هي الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود، الذي يرغب الأولون والآخرون فيه إلى الرسول ﷺ ليشفع إلى ربه كي يخلص العباد من أهوال المحشر.

الشفاعة الثانية: وهي الشفاعة في أهل الذنوب من الموحدين الذين دخلوا النار.

الشفاعة الثالثة: شفاعته في الإذن للمؤمنين بدخول الجنة[٦].

---

(١) المصراعان: جانبا الباب.

(٢) هجر: مدينه في البحرين.

(٣) الفتح (١٠/ ١٠)، ومسلم [١٨٤].

(٤) البخاري.

(٥) ارجع إلى كتاب «القيامة الكبرى»، د/ عمر الأشقر.

(٦) انظر كتاب «القيامة الكبرى» لعمر الأشقر.

obeikandl.com

سيد ولد آدم يشتم ويسب:

فقد قال النبي ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ فَخْرَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَمُشَفَّعٍ»(١).

أمثل هذا الحليم يشتم ويسب:

أما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة، والصبر على ما يكرهه، فمما أدب الله به نبيه ﷺ فقال: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقد سأل عليه الصلاة والسلام جبريل عن تأويلها فقال: «يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك»، وقال له: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧] وقال: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢] وقال: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣].

وقد تضافرت الأخبار على اتصافه عليه الصلاة والسلام بنهاية هذه الأوصاف، فما من حليم إلا عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة ونبينا لا يزيد مع كثرة الايذاء! إلا صبرًا وعلى إسراف الجاهل إلا حلمًا.

قالت عائشة رضي الله عنها: «ما خير عليه الصلاة والسلام في أمرين قط إلا اختار أيسرهما، مالم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله»(٢)

---

(١) أخرجه مسلم [٢٢٧٨] والبخارى [حديث٤٧١٢].

(٢) أخرجه مسلم حديث[٢٢٧٨].

ولما فعل به المشركون ما فعلوا في أحد، وطلب منه أن يدعوعليهم قال: «اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون[١]».

وإذا كان القطع والوصل لله ... تساوى التقريب والإقصاء
وسواء عليه فيما أتاه ... من سواه الملام، والإطراء
ولو أن انتقامه لهوى ... النفس لدامت قطيعة وجفاء
قام لله في الأمور فأرضى الله ... منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينضح[٢] ... إلا بما حواه الإناء؟

وحسبك في هذا الباب ما فعله مع مشركي قريش الذين آذوه، واستهزءوا به، وأخرجوه من دياره هو وأصحابه، ثم قاتلوه، وحرضوا عليه غيرهم من مشركي العرب، حتى تمالأ عليه جمعهم، ثم لما فتح الله عليه مكة ما زاد على أن عفا وصفح[٣].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كنت مع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه أعرابي بردائه جذبة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عنقه، ثم قال: يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله عندك فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك! فسكت النبي ثم قال: «**المال مال الله وأنا عبده**» ثم قال: «**ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي**»قال: لا، قال: «**لم؟**» قال: لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة، فضحك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير، وعلى الآخر تمر[٤].

---

(١) البخارى [٣٥٦٠]، ومسلم [٢٣٢٧].
(٢) البخارى [٣٤٧٧]، ومسلم [١٧٩٢].
(٣) كلمات الإمام البوصيرى، «نور اليقين» ص[١٤٥].
(٤) «نور اليقين في سيد المرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »ص [١٨٤].

obeikandl.com

أمثل هذا الرحيم يشتم ويسب:

هكذا كانت رحمته ﷺ بالناس:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على ابن سيف اليقن ـ وكان ظئرًا لإبراهيم عليه السلام ـ فأخذ رسول الله ﷺ إبرهيم وشمه. ثم دخلنا عليه، بعد ذلك وإبرهيم يجود بنفسه. فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان فقال له عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله! فقال «**يا ابن عوف! إنها رحمة**» ثم أتبعها بأخرى فقال ﷺ: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا ونقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم! لمحزونون**[١]».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: تقبلون الصبيان! فما نقبلهم. فقال النبي ﷺ: «**أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله ﷺ، الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي، جالسًا. فقال الأقرع: إن لي عشره من الولد ما قبلت منهم أحدًا. فنظر إليه رسول الله ﷺ، ثم قال: «**من لا يَرحم لا يُرحم**»[٣].

هكذا كان ﷺ يحث الناس على التراحم: عن جرير بن عبدالله، عن النبي ﷺ، قال: «**من لا يَرحم لا يُرحم**»[٤].

---

(١) المصدر نفسه ص[١٨٤]

(٢) أخرجه البخاري في: ٢٣ – «كتاب الجنائز» ٤٤– باب قول النبي ﷺ أنا بك لمحزونون.

(٣)أخرجه البخاري في: ٧٨– «كتاب الأدب»: ١٨ – باب «رحمة الولد وتقبيله ومعانقته».

(٤) أخرجه البخاري في: ٧٨ – «كتاب الأدب»: ١٨ – باب «رحمة الولد وتقبيله ومعانقته».

كان نبي الرحمة جالسًا يومًا في المدينة فتمر من أمامه جنازة يهودي فيبكى ﷺ فيسأله الصحابة: ما يبكيك يا رسول الله فيقول: «**نفس تفلتت مني إلى النار**» يبكي ﷺ لأن ذلك اليهودي لم يؤمن بالله ورسوله، وماذا يريد منه النبي ﷺ سوى الإيمان بالله ورسوله حتى يدخله الله الجنة، يبكي عليه ﷺ لأنه أصبح من أهل النار، حقًا إنه نبي الرحمة، وهل هناك رحمة بعد هذه الرحمة.

يسمع النبي ﷺ باحتضار غلام يهودي فيذهب إليه مسرعًا ﷺ قائلًا لذلك الغلام: «**قل: لا إله إلا الله محمد رسول الله**» فينظر الغلام إلى والده فيقول له والده: أطع أبا القاسم، فيقول الغلام: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم مات، وإذ بنبي الرحمة يتهلل وجه فرحًا وسرورًا حتى أصبح كفلق القمر، قائلًا ﷺ: «**الحمد لله الذي أنقذه بي من النار**».

وحسبك في هذا الباب أن الله عَزَّوَجَلَّ قال له: ﴿ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾. [الأنبياء: ١٠٧]

هكذا كانت رحمته ﷺ بالبهائم:

عن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسر إليَّ حديثًا لا أحدث به أحدًا من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدف أوحائش نخل فدخل حائطًا لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حن وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح سراته إلى سنامه وذفراه فسكن فقال: «**من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟**» فجاءه فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، فقال: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إلى أنك تجيعه وتدئبه**» «أي: تتعبه»[1].

(١) انظر «الأحاديث الصحيحة» للألباني: (١/ ٢٨).

وعن يعلي بن مرة الثقفي قال: «بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ إذ مررنا ببعير يسني «أي يستقى» عليه، فلما رأه البعير جرجر[١] فوضع جرانه[٢]، فوقف عليه النبي ﷺ فقال: «**أين صاحب هذا البعير؟**» فجاءه فقال: «**بعنيه**» فقال بل نهبه لك يا رسول الله، وإنه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره. قال: «**أما إذ ذكرت هذا من أمره، فإنه شكا كثرة العمل، وقلة العلف فأحسنوا إليه**»[٣].

وعن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: بينما رسول الله ﷺ في حجر[٤] من الأرض إذا بهاتف يهتف: يا رسول الله، يا رسول الله، قال الرسول: «**فالتفت فلم أر أحدًا**»، وإذا الهاتف يهتف: يا رسول الله، يا رسول الله، قال: «فألتفت فلم أر أحدًا، وإذا الهاتف يهتف بي، فاتبعت الصوت، وهجمت على ظبية[٥] مشدودة الوثاق[٦] وإذا أعرابي منجدل في شملة[٧] نائم في الشمس، فقالت الظبية: يا رسول الله، إن هذا الأعرابي صادني قبل ولي حشفان[٨] في هذا الجبل، فإن رأيت أن تطلقني حتى أرضعهما، ثم أعود إلى وثاقي قال: «**وتفعلين**» قالت: عذبني الله عذاب العشار[٩] إن لم أفعل، فأطلقها رسول الله ﷺ فمضت، فأرضعت الحشفين وجاءت، فبينما رسول الله ﷺ يوثقها[١٠] إذا انتبه الأعرابي، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله

(١) صاح وردد صوته في حلقه.

(٢) مقدم عنقه.

(٣) انظر «المشكاة» للألباني: (٣/ ١٨٨).

(٤) مكان كثير الحجارة.

(٥) غزالة.

(٦) مربوطة.

(٧) كساء من صوف أو غيره.

(٨) ولدان.

(٩) أي عذاب عشرة .

(١٠) أي يربطها

إني أصبتها قبيلًا ألك فيها حاجة؟ قال: قلت: «**نعم**»، قال الأعرابي: هي لك فأطلقتها، فخرجت تعدو في الصحراء فرحًا وهي تضرب برجليها في الأرض وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله محمدًا رسول الله»[١].

أمثل هذا المتواضع يُشتم ويُسب!

وحسبك مقولته: «**إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد**»

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جلس جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل! فقال جبريل: هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد! أرسلني إليك ربك أفملكًا نبيًا أجعلك أو عبدًا رسولًا؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد! قال: «**بل عبدًا رسولا**»[٢] قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ذلك لا يأكل متكئًا يقول: «**آكل كما يأكل العبد وأجلس كم يجلس العبد**»[٣].

وعن أبي غالب قال: قلت لأبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حدثنا حديثًا سمعته من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! قال: كان حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن يكثر الذكر ويقصر الخطبة ويطيل الصلاة ولا يأنف ولا يستكبر أن يذهب مع المسكين والضعيف حتى يفرغ من حاجته»[٤].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر الذكر ويقل اللغو، ويركب الحمار، ويلبس الصوف، ويجيب دعوة المملوك، ولو رأيته يوم خيبر على حمار خطامه من ليف»[٥].

---

(١) انظر «البداية والنهاية» لابن كثير (٦/ ١٤).

(٢) انظر «حياة الصحابة» ص[٤٥١].

(٣) المصدر السابق ص[٤٥١].

(٤) انظر «البداية» (٦/ ٤٥) و«حياة الصحابة» [٤٥١].

(٥) انظر «البداية» (٦/ ٤٥) و«حياة الصحابة» [٤٥١].

openkana.com

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعقل[١] الشاة ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير[٢]. وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدعى إلى خبز الشعير وإلاهالة[٣]السنخة فيجيب ولقد كانت له درع عند يهودي فما وجد ما يفكها حتى مات[٤] وعن عروة رضي الله عنه قال: سأل رجل عائشة: هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته؟ قالت: نعم، كان يخصف[٥] نعله ويخيط ثوبه كما يعمل أحدكم في بيته[٦] وعند البيهقي عن عمرة قالت قلت لعائشة: ما كان يعمل رسول الله ﷺ في بيته؟ قالت: كان رسول الله ﷺ بشرًا من البشر يفلي[٧] ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه[٨].

وعن جابر رضي الله عنه قال: جاء النبي ﷺ يعودني ليس براكب بغلًا ولا برذونًا[٩] وعن أنس رضي الله عنه قال: حج رسول الله ﷺ على رحل رث وعليه قطيفة لا تساوي أربعة دراهم فقال: «**اللهم! اجعله حجًا لا رياء فيه ولا سمعة**»[١٠].

---

(١) أي يحلتها.

(٢) «حياة الصحابة» ص[٤٥٢].

(٣) ما أذيب من الشحم وقيل الدسم الجامد.

(٤) انظر «الشمائل للترمذي» ص[٢٣].

(٥) يخصف: يخرزها.

(٦) «حياة الصحابة» ص[٤٥٤].

(٧) يفلي: أي يأخذ القمل منه.

(٨) انظر «البداية» (٦/ ٤٤).

(٩) «صفة الصفوة» (١/ ٦٥).

(١٠) أخرجه الترمذي في «الشمائل» ص [٢٤].

obeikandl.com

أمثل هذا الحيى يشتم ويسب:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد حياء من العذراء في خدرها»(١).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «رأى على رجل صفرة فكرهها، قال: فلما قام قال: «**لو أمرتم هذا أن يغسل عنه هذه الصفرة!**» قال: وكان لا يكاد يواجه أحدًا بشيء يكرهه»(٢).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا بلغه عن رجل شيء لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: «**ما بال أقوام يقولون كذ وكذا**»(٣).

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لم يكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاحشًا ولا متفحشًا وكان يقول: «**إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا**»(٤).

أمثل هذا الشفيق يشتم ويسب:

كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشفق على أمته ويدعوهم للإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، ويحذرهم من المعاصي، حتى لا يكونوا من أصحاب النار.

عن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «**إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله، جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبنه، فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وهم يقتحمون فيها**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في: [٦١] كتاب «المناقب» [٢٣] باب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) رواه أبو داود والترمذي في «الشمائل» والنسائي في «اليوم والليلة».

(٣) انظر «البداية» (٦/ ٣٨).

(٤) أخرجه البخارى في [٦١] كتاب «المناقب» [٢٣] باب صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخرجه البخاري في [٨١] كتاب «الرقاق» [٢٦] باب الأنتهاء عن المعاصي.

(٥) انظر «الترغيب» (٥/ ١٤١).

كان ﷺ يشفق على أمته ويخاف عليهم من الدنيا والتنافس فيها: أخرج الشيخان عن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى البحرين يأتي بجزيتها فقدم بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال: «**أظنكم سمعتم ان أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين**» قالوا: أجل، يا رسول الله! قال: «**أبشروا وأملوا ما يسركم! فوالله! ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسو فتهلككم كما أهلكتهم**»(١).

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إني لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه**»(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رجل للنبي ﷺ: أين أبي؟ قال: «**في النار**» فلما رأى ما في وجهه قال: «**إن أبي وأباك في النار**».

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٦٦).

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ٦٦).

obeikandl.com